الخاتمة

شارك علماء اللغة حديثًا بآرائهم في كثير من قضايا اللغة وخاصة فيما يتصل بالدرس الصوتي والدلالي ، فمنها ما اتفقوا فيه مع الدرس اللغوي قديمًا ومنها ما كان محل خلاف بينهم ، ولكل تظل الدراسات اللغوية قديمًا هي محور الانطلاق لهذه الدراسات الحديثة .

وقد قدَّم هذا البحث جملة من هذه الآراء ، وذلك من خلال عدة قضايا صوتية ودلالية في القرآن الكريم سجلها الباحث تحت عنوان : (الدرس الصوتي والدلالي في سورة الزخرف في ضوء الدرس اللغوي الحديث) .

وبعد رحلة بحثية في ظلال هذا العنوان وتحت لواء قدسية كتاب الله الخالد يمكن أن يسجِّل الباحث بعض النتائج في خاتمة هذا البحث ، **وذلك من خلال عنوانين :**

أ- الدرس الصوتي في سورة الزخرف

من أهم النتائج التي سجلها الباحث تحت هذا العنوان ما يأتي :

1- ظهرت كثير من القراءات القرآنية في سورة الزخرف تحمل عنوان : (تخفيف الهمزة) ، كل مجموعة منها تحمل شكلا من أشكال التخفيف ، وذلك في ضوء صور الحذف والإبدال والتسهيل ، سواء أكان ذلك في دائرة الهمزة المفردة , أم من خلال اجتماع الهمزتين في كلمة , أم في كلمتين .

2- إن النطق بهمزة (بَيْن بَيْن) لا يقتصر أثره علي البيئة الحجازية بل ظهر أثره في جميع البيئات البدوية والحضرية ، والقول بأن همزة (بَيْن بَيْن) لا وجود لها ، وإنما الموجود حركتها قول غير دقيق ، ... فهمزة (بَيْن بَيْن) تتميز عن حركتها بغمز الزفير ، غمزة أخف من غمزة المحققة ، فهمزة (بَيْن بَيْن) هي متحركة تكون بعد ألف أو بعد حركة فتصير في النطق مجرد خفقة صدرية لا يصاحبها إقفال للأوتار الصوتية[1] .

3- من أجل الانسجام بين أصوات اللين ظهرت الإمالة في سورة الزخرف في حالة واحدة فقط ، وكذلك إمالة ما قبل هاء التأنيث ، وأما من أجل بيان الأصل اليائي فكان الأكثر

(1) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها ص 35 ، والمختصر في أصوات العربية ص 77 .

تواجدًا في هذه السورة سواء عن طريق الأسماء أم الأفعال والحروف .

4- عرضت سورة الزخرف لمجموعة من صور التماثل بين الصوامت سواء عن طريق المماثلة الكلية الرجعية أم المماثلة الجزئية الرجعية ، ثم صور التماثل بين الحركات ، وكذا التماثل بين الحركات وشبه الحركات ، وذلك كله في دائرة القراءات القرآنية .

5- أمكن تحديد صور الإبدال اللغوي في العربية من خلال وضع بعض المعايير والضوابط التي تؤصِّل لها ، حيث ذكر كثير من علماء اللغة أن دائرة المخارج والصفات والتقارب بينها مع الاتفاق في المعني هو المعيار لتحقيق ذلك ، وأنه لا وجه لهذه الأمثلة التي فقدت هذه المعايير .

وعلى هذا الأساس لم يأت الإبدال اللغوي بين الصوامت في سورة الزخرف إلا من خلال قراءة واحدة فقط ، في حين تحقَّق الإبدال بين الحركات في كثير من القراءات القرآنية .

6- من خلال ستة أشكال صوتية أجازت العربية تشكيل المقطع الصوتي ، ولكن لم يظهر في سورة الزخرف إلا الأشكال الأربعة الأولى فقط ، وإن كان الشكل الرابع لم ترسم حدوده فيها إلا في حالة الوقف علي أواخر الآيات فقط ، وذلك من خلال صورة المقاطع الأحادية والثنائية والثلاثية والرباعية والخماسية ، والتي تحقَّقت من خلال استقلالية المقطع أو اتصاله باللواحق والسوابق التي تتصل بالكلمة القرآنية .

7- عن طريق بعض القراءات القرآنية – الصحيحة والشاذة المنسوبة وغير المنسوبة – تمَّ تحويل مقطعين من النوع الأول المفتوح ورمزه (ص ح) إلي مقطع واحد من الشكل الثالث ورمزه (ص ح ص) دون حدوث أثر لاختلاف الدلالة .

8- ظهر أثر استخدام الشكل الرابع من أشكال المقطع الصوتي ورمزه (ص ح ح ص) في نهاية جميع الآيات التسعة والثمانين في حالة الوقف ، والتي عرض من خلالها هذا المقطع الممدود لمجموعة من المشاهد والحقائق , ولكنها تأتى في نهاية للتركيز على أمر واحد , وهو أن جميع الأنبياء والمرسلين رسالتهم واحدة وهي الإسلام , وهدفهم واحد وهو توحيد الله – عزَّ وجلَّ – وتقديسه.

9- من خلال مجموعة من القراءات القرآنية ظهر الأثر الدلالي للمقطع الصوتي في سورة

الزخرف سواء عن طريق الإشباع ، أم إثبات ياءات الزوائد ، أم تحويل المقطعين إلي مقطع واحد.

10- من خلال قواعد النبر المقطعي في العربية ونماذجه في سورة الزخرف تبيَّن أن الشكل المقطعي الرابع ورمزه (ص ح ح ص) قد تم الضغط والنبر عليه في جميع الكلمات التسعة والثمانين والتي ختمت بها جميع الآيات في السورة في حالة الوقف عليها .

11- عن طريق الاشتقاق وإسناد الفعل إلي الضمائر المتحركة ظهرت بعض النماذج في سورة الزخرف التي تؤيِّد تحويل النبر المقطعي .

12- ظهر أثر نبر الجملة في سورة الزخرف من خلال بعض الأساليب الخبرية التي تعتمد على الإثبات والتوكيد والنفي ، وكذلك من خلال بعض الأساليب الإنشائية التي تحمل صورة القسم والتحضيض والشرط والاستفهام.

13- من خلال القالب التنغيمي للجملة القرآنية في سورة الزخرف وأثره الدلالي سجَّلت السورة مجموعة من الأفكار والمقاصد التي تحمل عنوان القالب التنغيمي الهابط , والذي يتناسب مع معظم فصول هذه السورة إلا أنه بين لحظة وأخرى يأتي القالب التنغيمي الصاعد وخاصَّة تلك القوالب التي صيغت بصورة الاستفهام في صورتها الظاهرة ولكنها تحمل بين طياتها صورًا أخرى قد تكون على سبيل التهديد أو الإنكار أو التقرير , وكأنها صرخة فزع لهؤلاء المشركين تبعثهم من مرقدهم وتؤرِّق عليهم حياتهم .

ب – الدرس الدلالي في سورة الزخرف

ظهرت كثير من النتائج التي سجَّلها الدرس الدلالي في هذه الدراسة ومنها :

1- في العصر الحديث ظهرت بعض المُصَّنفات التي تثبت الترادف في القرآن الكريم وبعضها الآخر ينفى هذه الفكرة ويدرجها تحت باب الفروق اللغوية ، ولكن بعد هذا التحقيق الذى أجراه الباحث مع بعض الكلمات من سورة الزخرف وما فسِّرت به في ضوء هذا السياق يمكن أن نقول بأن الترادف العام والذي نعنى به التطابق التام بين اللفظين في كل السياقات لا يمكن أن يتحقَّق في السياق القرآني ؛ وذلك لأن لكل لفظة قرآنية ضوابط وحدودًا خاصَّه بها يمكن من خلالها توجيه الدلالة ، ومن ثم لا يمكن أن تستبدل بها كلمة

أخرى لتؤدِّى نفس الدلالة ، فربما يكون بينهما تقارب في الدلالة , أما أن تؤدِّى نفس الدلالة داخل سياق واحد , أو أن يتم التناوب بينهما في جميع السياقات فهذا ما لا يمكن تصوره .

ويظهر ترجيح هذا الاتجاه من خلال استخدام السياق القرآني الكلمة مع نظيرتها في موضع واحد جنبًا إلى جنب ، وذلك مثل السِّر والنَّجوى واللهو واللعب ، وهذا يعطى لكل منهما دلالة خاصة لا تؤدِّيه اللفظة الأخرى ، فأراد هذا السياق أن يؤكِّد على ذلك من خلال هذا الاستعمال .

2- وَسَّعت بعض المصنَّفات في العصر الحديث من دائرة المشترك اللفظي في القرآن الكريم ، في حين ضيَّقت بعض المُصَنَّفات من دائرته ، ولكن بعد الدراسة التحليلية التي قدَّمها هذا المبحث لكلمات من سورة الزخرف والتي دخلت إلى دائرة المشترك اللفظي من باب التعدُّد الدلالي , إما من ناحية الدلالة المعجمية أو السياقية في السياق القرآني عامَّة أو سياق سورة الزخرف خاصَّة نستطيع أن نقول بأن المشترك اللفظي حقيقة وواقع في عالم اللغة العربية , ثم في القرآن الكريم , ولكن في نفس الوقت ومن خلال بعض الضوابط التي تحكم تواجده ، وذلك في حالة ظهور التباين الكامل بين الدلالات التي يحملها اللفظ الواحد .

فإذا نظرنا إلى تخصيص الدلالة فهي جزء من الدلالة العامَّة للكلمة ، وكذلك اختلاف القراءات القرآنية ، وذلك لأن هذا الاختلاف يغير من صورة اللفظ، وضابط المشترك الفظي هو أن تتوحَّد صورة اللفظ مع تعدُّد الدلالة .

كذلك فالمجاز بنوعية المرسل والاستعارة لا يمكن أن نعده من أسباب تواجد المشترك اللفظي ؛ وذلك لعدم استقلالية الدلالة المجازية عن الدلالة الحقيقية فهي فرع من فروعها ، وشرط المشترك اللفظي فقد الترابط بينهما واستقلالية كل دلالة عن الأخرى .

ولكن ما يمكن أن نعده من المشترك اللفظي هو ما يأتي نتيجة لاختلاف اللهجات العربية، فهذا واقع لا يمكن إنكاره ، وذلك لأن اللغة العربية الفصيحة ما هي إلا مجموعة من اللهجات العربية الفصيحة , حيث قد اجتمعت لها عدة دلالات مختلفة من خلال استعمال

كل قبيلة لنفس الألفاظ ولكن بدلالات مختلفة ، فمتى ظهرت هذه الدلالات المتباينة بين هذه اللهجات للفظ الواحد عُدَّ هذا الاختلاف من قبيل المشترك اللفظي .

3- بعض المُصَنَّفات الحديثة تثبت وجود التضاد في القرآن الكريم في ضوء بعض الأسباب ، في حين ينفي بعضها الآخر هذه الظاهرة وفي ضوء نفس الأسباب .

والحقيقة أن المثبتين للتضاد على وجه الإجمال وكذا المنكرين له قد انصرفا عن الحقيقة ؛ وذلك لأن اللفظ قد يفسَّر بالمعنى وضده في القرآن الكريم ولكن في حدود الضوابط والمقاييس الخاصة بهذا الباب والتي تثبت ذلك صراحة دون عرض أي وجه من وجوه التأويل ما دام السياق يحتمله.

وبعد عرض بعض الكلمات من سورة الزخرف وتقديم آراء علماء اللغة والمفسِّرين لها خاصَّة بعد أن ذكرت في تلك المُصَنَّفات التي تحمل عنوان "الأضداد" يرى الباحث أن بعض هذه الألفاظ فسرت بمعنيين متضادين في سياق هذه السورة ، وبعضها الآخر اكتسب صفة التضاد إما من خلال مقارنة السياق القرآني بالحديث النبوي أو بالشعر العربي .

وما رجَّحناه في المشترك نرجِّحه في باب التضاد ، فالاستعارة لا تدخل تحت دائرة التضاد لأنها من قبيل الدلالة المجازية التي لا تنفصل عن الدلالة الحقيقية ، فهما معًا يدخلان في دائرة واحدة ، وأما باب الاتساع في المعنى فالمعنى في الأصل واحد ، وأما احتمال الصيغة للفاعلية والمفعولية فإن اختلاف المفسِّرين هو الذي يُرَجِّح إدراج هذا العنوان تحت باب التضاد ، وأما التطور الصوتي فيأتي عن طريق تقديم بعض الحروف على بعض فا لأصل في الدلالة واحد .

فالراجح إذًا أن باب التضاد من الظواهر الثابتة في القرآن الكريم ولكن ينبغي أن يكون ذلك في حدود ضيقة للغاية ، والدفاع عن هذه الظاهرة في اللغة العربية دفاع بالضرورة عما ورد منها في القرآن الكريم كذلك .

4- إذا كان التطور الدلالي قد تشكَّل في العربية من خلال جانب التخصيص والتعميم والانتقال فإن دخول بعض الكلمات من سورة الزخرف إلي هذا الباب قد تشكَّل من خلال العنوان الأول والثاني فقط ، وذلك لندرة التعميم في اللغة عامَّة وفي القرآن الكريم خاصَّة .

فالمصطلح الإسلامي قد تعايش مع البيئة الإسلامية وتفاعل معها ، فكان نتيجة لذلك أن أنتج كثيرًا من الدلالات التي أضافت إلى المعجم العربي كثيرًا من الصور الدلالية والتي لم تكن معروفة

عند العرب من ذي قبل .

5- اختلفت كلمة المحدثين في إنابة بعض حروف المعاني عن بعض ، فرفض بعضهم هذا التناوب دون وضع مقاييس أو ضوابط لهذا الرفض اللّهم إلا التصريح ببعض العبارات التي تحمل هذا التناوب على باب آخر من أبواب اللغة ، في حين يرى بعضهم الآخر جواز التناوب بين الحروف ، فالحرف قد يؤدِّى دور حرف آخر في الدلالة ، واللغة تبيح ذلك ولا ترى فيه غضاضة ، وذلك في ضوء بعض المُصَنَّفات العامَّة والخاصَّة التي تثبت ذلك أو تنكره .

وبعد عرض مجموعة من صور التناوب بين حروف المعاني وأثره الدلالي في سورة الزخرف ، سواء أكان ذلك عن طريق دلالة الحروف الأحادية أم الثنائية والثلاثية والرباعية ، يتضح أن التناوب حقيقة وواقع لا يقبل الدفع أو الشك ، ولا داعي لحمله على أبواب أخرى من أبواب اللغة ما دامت اللغة تقبله وتستسيغه ، ولكن في نفس الوقت يجب أن يتم في حدود الضوابط والمقاييس التي تفيد التقارب أو التناسب بينهما ، وإن تعذَّر ذلك حمل على أبواب اللغة الأخرى من الاستعارة أو التضمين .

6- الكلمة القرآنية حَمَّالة لكثير من أوجه الدلالة ولكنها جميعًا وجوه لا تحمل بينها أي نوع من التناقض أو التعارض ، بل هو اختلاف تنوُّع بين المفسرين وأهل اللغة ، فكل يوجِّه الكلمة على حسب فهمه للسياق الواردة فيه ، وقد لا يظهر للكلمة سوى دلالة واحدة ، وذلك في ضوء تفسير غريب الألفاظ في سورة الزخرف .

وبعد ، فالحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات ، أتَمَّ عليَّ نعمه وحلمه وكرمه ، فأدعوه أن يمُنَّ عليَّ بعفوه ومغفرته وفضله على ما قصرت أو أخطات ، (لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (القصص70) .